مكتبة دير السريان العامر
تقدم

مقالة عن الموت

المؤلف
الراهب اباكير السرياني

مراجعة وتقديم
نيافة الانبا متاؤس
اسقف دير السريان

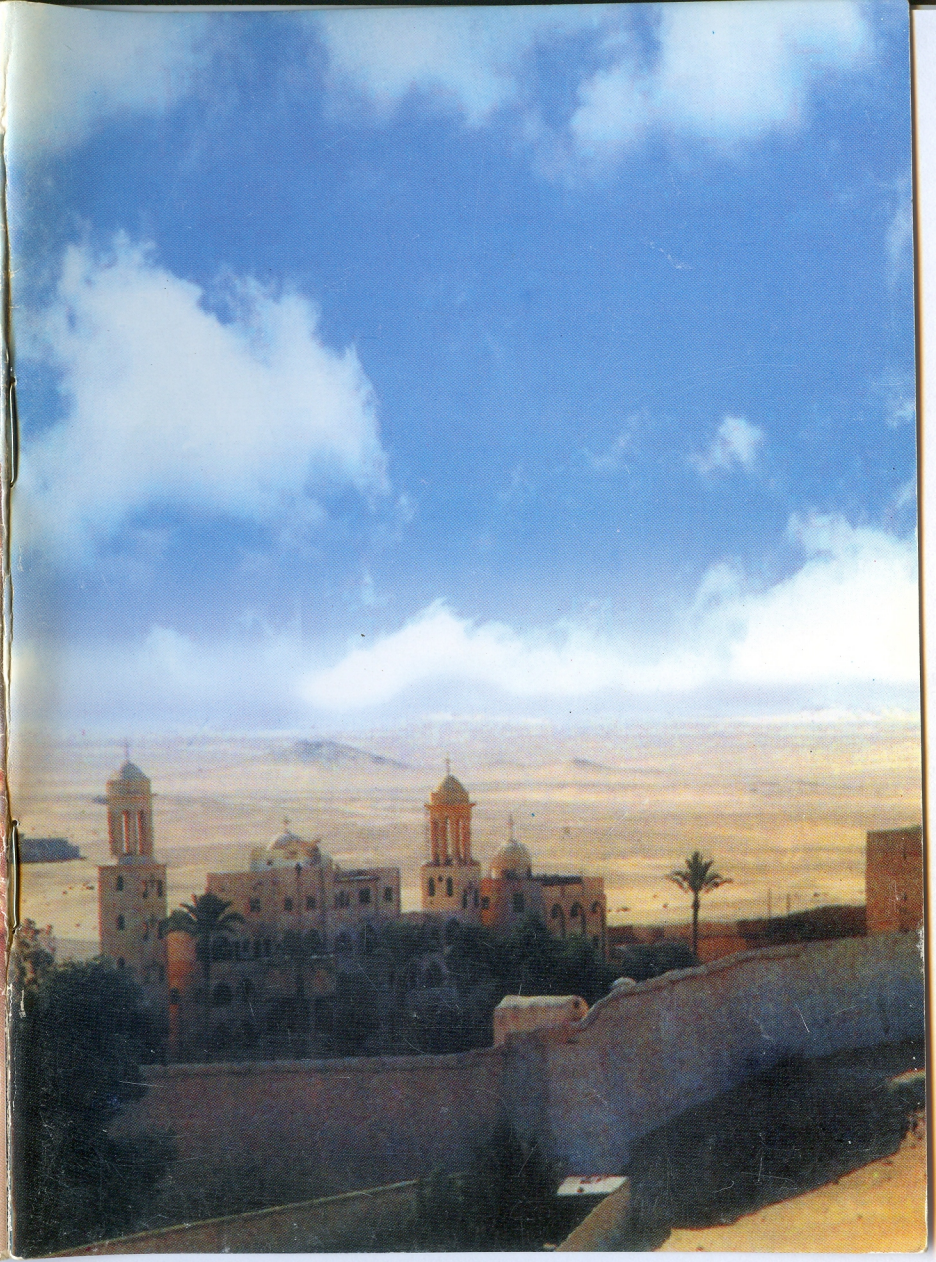

مقدمة

هذه مقالة أو رسالة عن الموت كتبها القديس كبريانوس أسقف قرطاجنه إلى شعبه حينما حدث فى إيبارشيته وبأ أو مرض خطير حصد الكثيرين من أبنائه ، فإنزعج البعض وحزن لأجل أقاربه وأحبائه الذين ماتوا وإعترى الآخرين خوف شديد أن يصيبهم هذا المرض اللعين ويقضى على حياتهم كما قضى على الآخرين، فكتب لهم أبوهم الروحى وأسقفهم الساهر هذه الرسالة يعزى الذين فقدوا أحباءهم ويشجع الخائفين من الموت أن يكونوا ثابتين ومؤمنين حقيقيين لا يهابون الموت الذى يسميه الجسر الذهبى الذى يوصل إلى الحياة الأبدية مع الرب يسوع والملائكة والقديسين.

يقول فى رسالته:

+ من يخاف الموت إلا الذى لا يريد أن يذهب إلى المسيح؟ ! ومن لا يريد أن يذهب إلى المسيح إلا الذى لا يؤمن أنه سوف يملك معه إلى الأبد؟ ! .

+ إننا نصل إلى الميناء والأمان الأبدى ونحيا فى عدم الموت حين نجوز هذا الموت لأن فى هذا سلامنا وراحتنا وطمأنينتنا الأبدية.

+ كم هو ربح عظيم الإنتقال من هذا العالم وقد أكد ذلك المغبوط بولس حين قال «لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح» (فى ١ : ٢١).

+ الموت هو جسر ذهبى به ننتقل إلى عدم الموت وبرحيلنا من هذه الحياة الفانية نعتقل إلى الحياة الباقية، فالموت ليس هو نهاية بل بداية حياة أخرى عبور ورحلة إلى الخلود إلى الحياة الأفضل.

نقدم هذه الرسالة إلى كل إنسان حزين على فقد حبيب أو صديق لتكون سبب تعزية وبلسماً شافياً له راجين من الروح القدس المعزى أن يرافق كل نسخة ويملأ قلوب الجميع من السلام الإلهى الذى يفوق كل عقل.

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان

الصوم الكبير ٢٠٠٢

رسالة القديس كبريانوس
عـن
(المـــوت)

لماذا أكتب؟

إخوتى الأعزاء المحبوبون، بالرغم إننى ألاحظ فى الكثير منكم عقلاً ثابتاً، وإيماناً قوياً، وروحاً لا تضطرب بسبب تكرار هذه الوفيات الحاضرة، إلا إننى فى الوقت نفسه أرى أن بعضكم بسبب ضعفهم، أو بسبب تمتعهم بمباهج العالم الحاضر، أراهم لا يقفون بنفس الصلابة ولا يظهرون القوة الروحية التى لا تُقهر، لذلك وجدت أن المشكلة لا يجب أن تُنكر أو نقف إزاءها صامتين، ولكننى حسبما تكفى قوتى الضعيفة فإننى سأحاول بكل قوتى وبرسالتى التى جمعتها من عظات مخلصنا له المجد، أن أقيّد الكسل وأبطل الميل إلى الترف، **فمن قد بدأ فعلاً أن يكون إنسان المسيح يجب أن يكون حقاً جديراً بالله وبالمسيح.**

اقتراب الملكوت:

إن الإنسان الذى يحارب من أجل الله أيها الأخوة المحبوبون، يجب أن يعرف نفسه أنه يحيا فى معسكر سماوى ويتنفس هواءً روحياً، لذلك يجب علينا ألا نرتجف أو نضطرب أمام عواطف هذا العالم ودواماته، لأن ربنا له المجد قد سبق وأنبأ بحدوث كل هذا. إن الرب قد وعظنا بكلماته الإلهية وقد أرشد وعلّم أبناء كنيسته، وقواهم وأعدهم لتحمل كل ما سوف يأتى، لقد قال الرب إن حروباً ومجاعات وزلازل وأوبئة ستحدث فى كل مكان، وخشية أن ننزعج لحدوث أمر مروع غير متوقع، فقد سبق الرب وحذرنا أن المحنة ستزيد أكثر فأكثر فى الأيام الأخيرة.

لكن لاحظوا أن نفس هذه الأشياء قد حدثت، وحيث أن ما سبق الرب وأنبأ به قد حدث، إذن فأيضاً الأشياء التى وعدنا بها سوف تأتى أيضاً بعدها، لأن الرب نفسه قد وعدنا قائلاً: «*هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فأعلموا أن ملكوت الرب قريب*» (لوقا ٢١ : ٣١). **إن ملكوت الله -أيها الأخوة المحبوبون- قد إقترب، إن**

المكافأة والإبتهاج بالخلاص الأبدى، والفرح اللانهائى، وسكنى الفردوس قد إقتربت مع إقتراب زوال هذا العالم. إن السمائيات ستحل محل الأرضيات، والباقيات محل الفانيات. إذن أى مكان بيننا لأى قلق أو إضطراب؟ مَن منا سيكون مرتجفاً أو حزيناً إلا الذى يحيا بغير إيمان أو رجاء؟ **من يخاف الموت إلا الذى لا يريد أن يذهب إلى المسيح؟ ومن لا يريد أن يذهب إلى المسيح إلا الذى لا يؤمن أنه سوف يملك معه إلى الأبد؟!.**

هل تؤمن؟

إنه مكتوب «*أما البار فبالإيمان يحيا*» (رومية ١ :١٧)، فإذا كنت باراً وتحيا بالإيمان، وإذا كنت بالحقيقة تؤمن بالمسيح وأنك على وشك أن تكون معه وتثق بوعوده لك، ألا تفرح أنك قد دعيت إلى المسيح وأنك سوف تتحرر من قبضة الشيطان؟ إن سمعان الشيخ الرجل البار -الذى كان بالحقيقة باراً، وقد أكمل كل وصايا الرب بإيمان كامل- حين أُعلم من السماء أنه لن يرى الموت حتى يعاين

المسيح الرب، فعندما أتى المسيح طفلاً إلى الهيكل مع أمه، وعرف سمعان بالروح أنه هو المسيح الرب الذى قد أنبئ به قبلاً، حينئذ علم سمعان أن موته أصبح وشيكاً، فابتهج وتهلل وأخذ الطفل يسوع على ذراعيه وبارك الله وهتف قائلاً: «*الآن تطلق عبدك يا سيدى حسب قولك بسلام*» (لوقا ٢ : ٢٩). وبذلك أثبت وحمل شهادة أن خدام الرب يكون لهم سلام وحرية وراحة أبدية حينما يؤخذون من دوامات هذا العالم. **إننا نصل إلى الميناء والأمان الأبدى ونحيا فى عدم الموت حين نجوز هذا الموت، لأن فى هذا سلامنا وراحَتنا وطمأنينتنا الأبدية.**

ماذا فى العالم؟

أما بالنسبة للباقين فماذا يوجد فى العالم غير معركة يومية ضد الشيطان، وصراع مستمر ضد سهامه وأسلحته؟ إن لنا حرباً دائمة ضد محبة المال والنجاسة والغضب والغرور، وصراعاً شاقاً ضد إغراءات العالم وشهواته ورذائله. إن عقل الإنسان محاصر من كل إتجاه بهجمات الشياطين، وبصعوبة يستطيع أن يقاوم هذه الهجمات

فى أى وقت تواجهه. إنك إذا غلبت محبة المال تظهر الشهوة، وإذا إنتصرت على الشهوة سيأخذ مكانها الغرور، إذا قهرت الغرور تنتج الكبرياء ويظهر الغضب وتغريك الخمر ويغلبك الحسد وتفسد صداقتك الغيرة. إنك أحياناً تُجبر على القسم بحسب قانون هذا العالم بالرغم أن هذا يرفضه ضميرك ويمنعه القانون الإلهى.

حزن يتحول إلى فرح:

كم من المضايقات تعانيها الروح يومياً؟ وكم من المخاطر ترهق القلب وتحزنه، ومع كل هذا نحن نفرح بالإقامة هنا فى العالم بين أسلحة الشيطان وفخاخه فى حين أنه يجب أن يكون إشتياقنا وأملنا أن نسرع إلى الرب بواسطة موت سريع، لأن الرب نفسه قد علمنا قائلاً: «*الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح*» (يوحنا ١٦ : ٢٠). من هذا الذى لا يريد أن يكون بغير أحزان؟! ومن هو الذى لا يسرع ليحصل على الفرح؟!... ولكن متى يتحول حزننا إلى فرح؟ إن

الرب يعود ويعلن «*ولكن سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم*» (يوحنا ١٦ :٢٢). **إذن فرؤيتنا للسيد المسيح فى الأبدية هى الفرح ولن نستطيع أن نحصل على هذا الفرح دون رؤيته**، أى عمى للقلب، وأى حماقة أن نحب أحزان هذا العالم ومتاعبه ودموعه، بدلاً من أن نسرع إلى الفرح الذى لا ينزع منا.

ألا تصدق الرب؟

إن هذا يحدث يا إخوتى الأحباء لأن إيماننا ضعيف، ولا يريد أحد منا أن يصدق أن الأشياء التى وعدنا بها الرب حقيقية بالرغم أن الرب له المجد هو الحق نفسه، وكلمته لمؤمنيه أبدية ثابتة وغير متغيرة، فإذا كان هناك إنسان عظيم قد وعدك بشىء ما، إلا تصدق وعوده لك بثقة؟ هل ستفكر أن هذا الإنسان -الذى تعلم أنه صادق فى كلماته وأفعاله- يمكن أن يخدعك أو يضللك؟ والآن فإن الرب نفسه يتكلم إليك، هل يمكن أنك بعدم إيمان ترتاب فى عقلك الذى لا يصدقه؟ إن الرب يعدك أنك بعد رحيلك عن هذا العالم ستحصل على الحياة

الأبدية وعدم الموت فهل تشك فى ذلك؟! هذا معناه أنك لا تعرف الله وأنك تحزنه بخطية الشك. هذا معناه أن إنساناً يعيش فى الكنيسة يحيا بعدم إيمان فى بيت الإيمان!!.

ربح أم خسارة؟

كم هو ربح عظيم الإنتقال من هذا العالم. إن الرب يسوع معلمنا الصالح حين رأى أن تلاميذه قد حزنوا حينما أعلمهم أنه بعد قليل سوف ينتقل من هذا العالم خاطبهم قائلاً: «*لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت إنى أمضى إلى الآب*» (يوحنا ١٤ :٢٨). **وبهذا علّمنا وأوضح لنا أننا لا يجب أن نحزن حينما يرحل أحد أحبائنا من هذا العالم بل بالحرى نفرح**. وأيضاً المغبوط بولس الرسول أكد هذه الحقيقة حينما قال فى رسالته إلى أهل فيلبى «*لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح*» (فيلبى ١ :٢١). وبهذا إعتبره ربح عظيم أن ينجو من فخاخ هذا العالم ولا يعود قابلاً لخطايا الجسد بل يستريح من أتعابه المريرة ويتحرر من أنياب الشرير المسمومة، ويلبى دعوة السيد المسيح للفرح والخلاص الأبدى.

الكل تحت الآلام:

إنى ألاحظ أن البعض يزعجه أن هذا المرض يهاجمنا بنفس القوة التى بها يهاجم الوثنيين، وكأن الإنسان المسيحى يؤمن لكى يتمتع بهذا العالم وهذه الحياة بدون أمراض أو أتعاب وليس لكى يعانى من كل آلام الزمان الحاضر ومتاعبه وبهذا يُحفظ له الفرح الآتى.

إن البعض ينزعج لأن هذه الوفيات مشتركة بيننا وبين أولئك الوثنيين ولهؤلاء المنزعجين أقول: ماذا يوجد فى هذا العالم ليس مشتركاً بيننا وبين الآخرين؟ إننا ما دمنا نحيا فى هذا العالم فنحن مشتركون مع باقى الجنس البشرى فى هذا الجسد ولكننا منفصلون عنهم بالروح. إن كل عيوب هذا الجسد ستظل مشتركة بيننا وبينهم حتى يلبس هذا الفاسد عدم فساد ويلبس هذا المائت عدم موت.

التجارب:

إن الإنسان المسيحى يجب أن يدرك جيداً أنه يجب أن يعانى أكثر من الآخرين فى هذا العالم حيث أنه يجب أن يجاهد أكثر ضد

هجمات إبليس. إن الكتب المقدسة تعلمنا قائلة: «*يا إبنى إن أقبلت لخدمة الرب الإله فاثبت على البر والتقوى وأعدد نفسك للتجربة*» (يشوع بن سيراخ ٢ : ١)، وأيضاً «*مهما نابك فاقبله وكن صابراً على صروف إتضاعك. فإن الذهب يمحص فى النار والمرضيين من الناس يمحصون فى أتون الإتضاع*» (يشوع بن سيراخ ٢ : ٥٤).

اصبروا:

إن أيوب بعدما فقد كل ثروته ومات جميع بنيه إبتلى فى جسمه بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته، ومع ذلك لم يُهزم ولكنه فى وسط معاناته وآلامه المبرحة أظهر صبراً عظيماً كما يليق بإنسان مؤمن، وقال: «*عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن إسم الرب مباركاً*» (أيوب ١ : ٢١). وحينما بدأت زوجته تحثه ليتكلم كلاماً ضد الرب وبخها قائلاً: «*تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. ألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل، فى كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه*» (أيوب ٢ : ١). ولهذا فإن

الرب قال عنه: «*هل جعلت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس مثله فى الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر*» (أيوب ١: ٨).

وكذلك طوبيا بعد كل أعمال الرحمة التى صنعها أُصيب بفقد بصره، ولكنه ثبت فى خوف الله شاكراً له طول أيام حياته، ولكن زوجته هو أيضاً كانت تعيره قائلة: «*قد وضح بطلان رجائك وصدقاتك*» (طوبيا ٢: ٢٢)، أما هو فكان ثابتاً فى خوف الله ومتسلحاً بالإيمان فلم يرضخ لهذه التجربة فاستحق من الرب مكافأة أكثر بسبب صبره العظيم، وفى النهاية طوّبه الملاك رافائيل قائلاً: «*أما أنا فأعلن لكما الحق وما أكتم عنكما أمراً مستوراً. إنك حين كنت تصلى بدموع وتدفن الموتى وتترك طعامك وتخبئ الموتى فى بيتك نهاراً وتدفنهم ليلاً، كنت أنا أرفع صلاتك إلى الله، وإذ كنت مقبولاً أمام الله كان لابد أن تمتحن بتجربة. والآن فإن الرب قد أرسلنى لأشفيك وأخلص سارة كنّتك من الشيطان. فإنى أنا رافائيل الملاك أحد السبعة الواقفين أمام الرب*» (طوبيا ١٢: ١١-١٥).

واثبتوا:

إن القديسين والأبرار قد إقتنوا هذا الثبات، وكذلك الرسل حافظوا على هذا المبدأ أن لا يتذمروا فى أوقات الشدة، بل يقبلون بشجاعة وصبر كل ما يحدث فى هذا العالم، أما اليهود فكانوا دائماً يتذمرون ويأثمون أمام الرب وقد شهد الرب فى سفر العدد قائلاً: «*فتكف تذمراتهم عنى لكى لا يموتوا*» (عدد ١٧: ١٠).

إننا لا يجب أن نتذمر فى الشدة، أيها الأخوة المحبوبون - بل نحتمل بصبر وشجاعة كل ما يحدث إذ أنه مكتوب «*ذبائح الله هى روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره*» (مزمور ٥١: ١٧). وفى سفر التثنية يحذرنا الروح القدس على لسان موسى النبى قائلاً: «*لكى يذلك ويجربك ليعرف ما فى قلبك أتحفظ وصاياه أم لا*» (تثنية ٨: ٢)، وأيضاً «*لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم*» (تثنية ١٣: ٣).

الفضائل والشدائد:

إن إبراهيم أبا الآباء قد أرضى الرب، ومن يريد أن يرضى الرب لا يتضاءل وتصغر نفسه حتى بسبب فقد إبنه. وأنت يا من لا تستطيع أن تحتمل فقد إبنك بالموت الطبيعى بسبب هذه الوفيات الحاضرة، ماذا تراك كنت تفعل إذا أمرك الرب أن تذبحه؟ إن خوف الله والإيمان به يجب أن يجعلاك مستعداً لأى شيء سواء كان فقد ملكية خاصة، أو آلاماً مبرحة مستمرة بأطرافك، أو آلاماً مميتة ومحزنة بالزوجة أو الأولاد، أو حتى إنتقال أحد الأعزاء. **لا تدع هذه الأشياء تحزنك بل جاهد ولا تدعها تضعف أو تحطم إيمانك المسيحى بل بالحرى أظهر قوة هذا الإيمان فى الجهاد** لأن كل ما يصيبك بسبب هذه المتاعب الحاضرة سوف يتضاءل بسبب الثقة فى البركات العتيدة أن تأتى، **فلو لم تأتِ المعركة أولاً لا يكون هناك إنتصار، وحيث يكون الإنتصار فهناك سيعطى الإكليل للمنتصرين**. إن الرجل الذى يمسك دفة السفينة تُعرف مهارته أثناء العاصفة، وفى الحرب يتزكى الجندى، **والفضيلة تُختبر بالجهاد أثناء الشدائد**. إن الشجرة التى تأصلت

جذورها فى الأرض لا تهتز أمام العواصف، والسفينة القوية تصدمها الأمواج ولكنها لا تحطمها، وحين تأتى الأرض فالحبوب القوية تزدرى بالرياح بينما العصافة تلقيها الريح بعيداً إذا هبت عليها.

حينما أنا ضعيف:

إن بولس الرسول بعد أن تحطمت به السفينة عدة مرات وبعد جلدات كثيرة وأمراض عديدة فى جسده لم يحزن بل بالحرى إنتفع من هذه الشدائد عالماً أن فى هذه الضيقات تزكية له، لذلك قال فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس «*أعطيتُ شوكة فى الجسد. ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل*» (كورنثوس الثانية ١٢ :٧-٩)، لذلك حينما يصيبنا ضعف فلنعلم أن قوة الرب تكمل، وحينما يثبت إيماننا أمام التجارب فإننا سوف نكلل إذ إنه مكتوب «*آنية الخزاف تختبر بالأتون والإنسان يمتحن بحديثة*» (يشوع بن سيراخ ٢٧ :٦)، وهذا هو الفرق بيننا

وبين غير المؤمنين الذين إذا أصابتهم شدة يتذمرون ويشكون سوء حظهم **بينما نحن المؤمنين لا نحيد عن الإيمان والفضيلة بل بالعكس نتقوى فى الشدائد والضيقات.**

الفرحون والخائفون:

والآن ونحن فى هذه التجربة التى أتت علينا بسبب هذا المرض قد يحدث للبعض تقرحات بالحلق أو تتحرك الأمعاء بقئ أو إسهال شديد، وقد يحدث فقدان لأحد الأطراف التى أصابها المرض مسبباً عجزاً وتشويهاً دائماً، أو فقدان لحاسة السمع أو البصر، لكن كل هذا يُعتبر ربحاً إذ أنه يزكى إيماننا. أى عظمه للروح أن تجاهد جنباً إلى جنب مع كل قوى العقل ضد هذه الأمراض حتى الموت. **أى سمو ورفعه أن تقف راسخاً وسط كل هذا التدمير للجنس البشرى، ولا تسقط مهزوماً مع الذين لا رجاء لهم، بل تفرح وتتمسك بالرب الذى يأتيك من وراء هذه الأحداث**، وبهذا تُظهر إيمانك بشجاعة وصبر وتسير فى الطريق الضيق الذى وطئه السيد المسيح بقدميه فتصل إلى الحياة الأبدية كوعده الصادق.

بالتأكيد هناك من يخافون الموت، فسوف يخاف الموت من لم يتجدد بالماء والروح إذ أنه يرتعب خوفاً من جهنم، وسيخاف الموت من لم يشترك فى صليب المسيح وآلامه، ومن ينتظر أن يعبر من هذا الموت إلى موتٍ ثانٍ. سوف يخاف الموت من تنتظره نار أبدية لا تُطفأ وعقاب أبدى لا ينتهى، وكذلك يخاف أيضاً من يستفيد من تأجيل موته إذ بهذا يتأجل أنينه وعذابه.

فوائد روحية:

إن الكثيرين من أبنائنا يموتون وهذا معناه أنهم يتحررون من قبضة هذا العالم. إن هذه الوفيات مرعبة لليهود وغير المؤمنين ولكنها بالنسبة لخدام الرب إنتقال إلى الحياة الأبدية. حقيقة إن هذه الوفيات تشمل الأبرار والأشرار على حد سواء ولكن هناك فرق كبير فالأبرار يُدعون إلى الراحة الأبدية بينما الأشرار يُحفظون للعقاب والعذاب الأبدى.

إننا نكون غير شاكرين -أيها الأخوة الأحباء- إذا لم نعترف بالفوائد الروحية التى تأتينا من وراء هذه التجربة، فالبتوليون

سيرحلون فى سلام وأمان غير خائفين تهديدات ضد المسيح الذى سيأتى بقساوته وشروره، والفتيان الصغار يتجنبون أخطار سنهم الصغيرة وينتقلون فى فرح وسرور لينالوا مكافأة عفتهم وبراءتهم، بينما المرأة الرقيقة لن تخاف التعذيب لأنها بموتها السريع ستنجو من الإضطهاد وقسوة المضطهدين. إن الخوف من الموت سيبعث الحرارة فى الفاترين ويحفز المهملين وينشط الكسالى. إن هذا الخوف سيدعو الوثنيين إلى الإيمان والضالين إلى العودة **وسينشأ جيش روحى جديد لا يخاف المرض أو الموت.**

شهوة الإستشهاد:

إخوتى الأحباء، إنه من الضرورى جداً والنافع لنا أن ندرك أن هذا الوباء الذى يبدو رهيباً وقاتلاً إلا إنه فى الوقت نفسه مفيد جداً، إذ إنه يُظهر البر والصلاح الكامنين فى كل أحد ويمتحن عقول الناس ويختبر إيمانهم. سيبين هذا الوباء هل سيعتنى الأصحاء بالمرضى أم سيتخلون عنهم؟ هل سيشفق كل أحد على بنى جنسه ويرحم السادة

عبيدهم الضعفاء؟ هل سيهتم الأطباء بمرضاهم أم سيسدون آذانهم عن أنينهم؟ هل سيتخلى العنيف عن وحشيته ويقمع الجشِع تعطشة الذى لا يرتوى إلى جمع المال خوفاً من الموت؟ هل سيحنى المتغطرسون أعناقهم ويكف الأشرار عن شرورهم؟.

إن لم تكن لهذه الوفيات فوائد أخرى فيكفى أن لها فائدة كبيرة لنا -نحن المسيحيين- **فقد بدأنا نشتاق بفرح إلى الإستشهاد بعد أن تعلمنا ألا نخاف الموت. إننا سنأخذ مكافأة الثبات والتجلد وبازدراء الموت سوف نؤهل للأكاليل.**

الشهادة هبة من الرب:

ولكن ربما يعترض أحد قائلاً: «إن ما يحزننى هو أننى بعد أن أعددت نفسى للإعتراف بالسيد المسيح وكرّست نفسى لتحمل الألم والعذاب بشجاعة وبقلب ثابت، ربما بعد كل هذا أُحرم من الإستشهاد لأننى ربما أسبق فأموت فلا أنال الإكليل». ولهذا أقول إن الشهادة ليست تحت سلطانك ولكنها تمنح لك تعطفاً وتنازلاً من قبل الرب،

فكيف تقول أنك قد فقدت شيئاً ربما لا تستحقه؟ إن الرب وهو الفاحص القلوب والكلى والعالم بالخفيات والأسرار يرى تقدمك فى الفضيلة ويكافئك عنها. هل قايين عندما قدم ذبيحته كان قد قتل أخاه فعلا؟ لا، لكن الرب قد سبق فرأى قتله لأخيه قبل أن يحدث وعلم أن الخطية قد حبلت فى عقله فسبق وأدانه عليها، وكذلك كل الأفكار الشريرة والنيات السيئة يراها الرب ويجازى عنها.

إن نفس الشىء يحدث مع خدام الرب الأمناء الذى يعدون أنفسهم للإعتراف بإسمه ويشتهون الإستشهاد، فسوف يكافئهم من قال عن نفسه «*فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو فاحص الكلى والقلوب وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله*» (رؤيا ٢ :٢٣). **لأن الرب لا يطلب دماءنا ولكنه يبحث عن إيماننا**، فإن إبراهيم وإسحق ويعقوب لم يستشهدوا ولكنهم كوفئوا بسبب إيمانهم وبرهم.

هل نحن صادقون؟

لنتذكر دائماً يا أخوتى أننا يجب أن نعمل مشيئة الرب وليس مشيئتنا الخاصة، كما أمرنا الرب فى الصلاة الربانية نصليها كل يوم.

كم هو غريب ومناف للعقل ومخالف للمنطق أن نطلب دائماً فى صلواتنا أن تتم فينا مشيئة الرب ثم حينما يدعونا لنرحل من هذا العالم ونذهب إليه لا نريد أن نخضع لمشيئته!! إننا نكافح ونقاوم ونؤخذ إلى الرب فى حزن وأسى بدلاً من طاعته بكامل إرادتنا ومشيئتنا ومع ذلك نريد أن يكافئنا بالأكاليل السماوية هذا الذى ذهبنا إليه رغماً عنا!! لماذا إذن نصلى ونقول «ليأت ملكوتك» ما دام أسْر العالم يبهجنا؟! لماذا نتضرع ونتوسل مراراً وتكراراً أن يسرع مجئ ملكوته إذا كانت كل شهوتنا وإرادتنا أن نطيع الشيطان هنا بدلاً من أن نملك مع الرب فى ملكوته إلى الأبد؟!.

متناقضات مرفوضة:

أما بالنسبة لى أنا الأصغر والأخير بينكم فقد كشف لى الرب مراراً عديدة وأُمرت من قبل تنازله أن أشهد وأعلن جهراً وعلناً أن إخوتنا الذين سبقونا فتحرروا من قيود هذا العالم ودعاهم الرب إليه يجب ألا نبكى أو نحزن عليهم لأننا نعلم أننا لم نفقدهم ولكنهم قد

سبقونا فى الرحيل إلى الأمجاد السماوية. إننا نتوق إليهم ولكننا لا نبكيهم، ويجب ألا نرتدى نحن ملابس الحداد السوداء هنا بينما هم قد إكتسوا بثياب الفرح البيضاء هناك. إننا يجب ألا نعطى الأمم فرصة لكى يوبخونا باستحقاق لأننا نحزن على هؤلاء الذين نقول عنهم أنهم أحياء عند الرب، وبهذا لا نصدّق بقلوبنا على الإيمان الذى نعلنه بأفواهنا، ويظهر كلامنا وكأنه تظاهر أو تزييف. **يا إخوتى إنه لا فائدة أن نعلن الفضيلة بكلماتنا بينما نخالف الحق بأعمالنا.**

حياة الرجاء:

إن بولس الرسول يلوم ويوبخ الذين يحزنون ويبكون لإنتقال أحبائهم قائلاً: «*ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه*» (تسالونيكى الأولى ٤ :١٣، ١٤). إنه بذلك يؤكد أن الذين لا رجاء

لهم هم الذين يحزنون لرحيل أصدقائهم، وأما نحن -الذين نعيش فى الرجاء ونؤمن بالرب ونثق بأن المسيح قد تألم ومات عنا ثم قام، وأننا سوف نقوم أيضاً معه- فإننا لا نحزن للإنتقال من هذا العالم ولا نبكى على أصدقائنا وأحبائنا الذين إنتقلوا وكأنهم قد فُقدوا، لأن الرب يسوع نفسه يشجعنا ويثبتنا قائلاً: «*أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد*» (يوحنا ١١ :٢٥، ٢٦). **فإن كنا نؤمن بالرب ونثق بكلماته ووعوده لنا، فهيا إذاً نسرع إليه لكى ننتصر ونملك معه إلى الأبد.**

الجسر الذهبى:

إننا بالموت ننتقل إلى عدم الموت وبرحيلنا من هذه الحياة الفانية ننتقل إلى الحياة الباقية. **إن الموت ليس نهاية ولكنه عبور ورحلة إلى الخلود**. فمن ذا الذى لا يسرع إلى ما هو أحسن؟! من الذى لا يشتاق أن يتغير ويتجدد إلى صورة جسد مجد المسيح ويصل بأسرع وسيلة إلى الأمجاد السماوية؟! لأن بولس الرسول يعلن قائلاً: «*فإن سيرتنا*

نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل إستطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء» (فيلبى ٣: ٢٠، ٢١).

إن الرب يسوع نفسه يعدنا أننا سوف نكون معه وسنحيا معه فى مساكنه الأبدية متهللين فى ملكوته السماوى، فهو يخاطب الآب من أجلنا قائلاً: *«أيها الآب أريد أن هؤلاء الذى أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم»* (يوحنا ١٧: ٢٤). إن من ينتظر المجد السماوى لا يحزن ولا ينوح ولكن حسب إيمانه وثقته بوعد الرب له يجب أن يفرح برحيله وإنتقاله.

هؤلاء مغبوطون:

لقد أرضى أخنوخ الربَّ، وفى هذا يشهد الكتاب المقدس فى سفر التكوين قائلاً: «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه»

(تكوين ٥: ٢٤). فحينما تكون مرضياً للرب وباراً فى عينيه حينئذ ستكون مستحقاً للإنتقال من هذا العالم. وفوق ذلك فإن الروح القدس يعلمنا على فم سليمان الحكيم أن الذين يرضون الرب يؤخذون من هذا المعالم فى سنٍ مبكرة ويتحرون منه بسرعة حتى لا يتدنسوا بشرور هذا العالم إذا طال بقاؤهم فيه، فقد جاء فى سفر الحكمة *«إنه كان مرضياً لله فأحبه وكان يعيش بين الخطاة فنقله. خطفه لكى لا يغير الشر عقله ولا يطفى الغش نفسه»* (حكمة ٤: ١٠، ١١). وفى سفر المزامير نرى أن النفس التى تكرست لخالقها تشتاق أن تسرع إليه قائلة: *«ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسى إلى ديار الرب»* (مزمور ٨٤: ١، ٢).

دهشة وتعجب:

إن من يشتهى البقاء طويلاً فى هذا العالم هو الذى يبتهج بمسراته وشهواته، وتغريه هذه الحياة وتخدعه بالملذات الأرضية. إننى أتساءل متعجباً: إذا كان هذا العالم يبغض المؤمنين فلماذا نحب من يكرهنا؟!

ولماذا لا نتبع المسيح الذى أحبنا وافتدانا بدمه الثمين؟! إن يوحنا الرسول فى رسالته الأولى ينصحنا ويحذرنا من محبة العالم وشهواته قائلاً: «*لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد*» (يوحنا الأولى ٢: ١٥، ١٦، ١٧). فهيا أيها الأخوة الأحباء نسلم أنفسنا لمشيئة الله الكاملة بعقل راجح، وإيمان ثابت، وفضيلة راسخة طارحين عنا الخوف من الموت وناظرين إلى الخلود الذى يتبعه. دعونا نُظهر أنفسنا كمؤمنين حقيقيين بعدم الحزن لإنتقال أحبائنا من هذا العالم، وحينما يأتى يوم دعوتنا نسرع بغير تأخير أو مقاومة إلى الرب الذى دعانا بنفسه.

اهرب لحياتك:

إن العالم الآن ينهار ويخضع لعاصفة هوجاء من الأمراض والأوبئة، وهذه الأشياء المرعبة التى بدأت سوف يتبعها ما هو أشد

رعباً!!. ألا ندرك حقاً أن الإنتقال بأسرع ما يمكن يعتبر ربحاً عظيماً وفائدة كبيرة. إذا كانت حوائط منزلنا قد بدأت تهتز وبدأ المنزل يرتعش منبئاً بسقوطه الوشيك، ألا نرحل منه بأسرع ما يمكننا؟ إذا كنا فى رحلة وقامت عاصفة عاتية وبدأت الرياح العنيفة تصدم السفينة وبدا تحطمها وشيكاً ألا نبحث عن الميناء بأسرع وسيلة؟ والآن أنظرا، ها هو العالم يشهد على خرابه ودماره القريب، **ألا نشكر الرب ونهنئ أنفسنا لأننا برحيلنا المبكر منه سنُنقذ من كل الكوارث التى باتت على الأبواب.**

فرح لا ينطق به:

وأخيراً يا إخوتى الأحباء – فإنه يجب علينا أن نعلن فى تصرفاتنا وأعمالنا أننا قد جمدنا هذا العالم، وأننا نحيا هنا كغرباء ونزلاء. ليتنا نشتاق إلى اليوم الذى فيه ننتقل من هذا العالم ونتحرر من بين مخالبه وأنيابه المسمومة وننتقل إلى الفردوس. من هو الذى يحيا فى أرض غريبة ولا يسرع ليعود إلى وطنه؟! ومن الذى لا يسرع ليعود إلى أحبائه وأصدقائه ليفرح بلقائهم ومصافحتهم؟ إننا نعتبر السماء

وطننا، ورؤساء الآباء والأنبياء والقديسين آباءنا، فلماذا لا نسرع لنعود إلى وطننا ونفرح بلقاء آبائنا؟! إن جموعاً غفيرة من أحبائنا ينتظروننا، وأعداداً غير محصاة من الآباء والأخوة الذين أكملوا سعيهم يتوقون إلى خلاصنا. **أى فرح لنا ولهم حينما نصل إلى هناك ونلتقى بهم. أى فرح يكون فى السماء حيث لا خوف من مرض أو موت بل حياة أبدية لا تنتهى؟** هناك الجماعة المجيدة من الآباء الرسل، هناك الأنبياء المتهللون، هناك البتوليون الأطهار الذين قهروا شهوة الجسد بعفتهم، وهناك الرحماء الذين بإطعامهم الفقير قد حفظوا وصايا الرب وحولوا كنوزهم الأرضية إلى ميراث سماوى. إلى كل هؤلاء دعونا نسرع بشوق ولهفة، دعونا نسرع إلى الرب لنفرح معه ومعهم.

ولينظر الرب إلى شوقنا العظيم، وليتطلع ربنا يسوع المسيح إلى غاية إيماننا فهو الذى يعطى المكافأة العظيمة التى نجده لهؤلاء الذين كل رغباتهم وأشواقهم فى تمجيد إسمه العظيم القدوس.

والمجد لله دائماً أبدياً. آمين.